

أميركا وفرنسا... ولبنان الدولة الفاشلة

المتحدة في لبنان، اللقاء عدد من المسؤولين السعوديين. تأتي هذه الزيارة امتدادا للقاء المشترك لوزير أوروبا والشؤون الخارجية (الفرنسي) ونظيره الأميركي مع وزير الخارجية السعودي الذي انعقد في إيطاليا على هامش قمة مجموعة العشرين". لم يفت البيان الفرنسي القول إنه "سبق للوزير جان إيف لودريان وأنتوني بلينكن أن أشارا معا في باريس في 25 حزيران - يونيو إلى عجز القادة السياسيين اللبنانيين، حتى الآن، عن تغليب المصلحة العامة للبنان على مصالحهم الخاصة. كما اتفقا على ضرورة أن تعمل فرنسا والولايات المتحدة معا لإخراج لبنان من الأزمة".

أضاف البيان "ستشرح السفارة خلال لقاءاتها أنه من الملح أن يشكل المسؤولون اللبنانيون حكومة فعالة وذات صدقية تعمل بهدف تحقيق الإصلاحات الضرورية لمصلحة لبنان، وفقا لتطلعات الشعب اللبناني. وستعرب مع نظيرتها الأميركية عن رغبة فرنسا والولايات المتحدة في العمل مع شركائهما الإقليميين والدوليين للضغط على المسؤولين عن التعتيل. ستشدد أيضا على ضرورة أن تذهب المساعدات الإنسانية الفرنسية المقدمة مباشرة إلى الشعب اللبناني وللقوات المسلحة اللبنانية ولقوى الأمن الداخلي التي ستستمر فرنسا والولايات المتحدة بدعمها. هذا يعني أن لا ثقة مطلقا بمؤسسات الدولة اللبنانية كي تصل هذه المساعدات إلى المواطنين العاديين!

كان لا بد من ذكر ما ورد في البيان الأميركي والفرنسي للتأكد من فقدان المجتمع الدولي أي أمل بإنقاذ لبنان من دون مبادرة خارجية عن المألوف. الموضوع في غاية البساطة، على خطورة. الموضوع يتعلق ببلد رئيس جمهوريته ميشال عون ويحكمه "حزب الله"، أي إيران التي لا ترى في لبنان سوى ورقة من أوراق عتة تملكها في المنطقة، تريد، عبر هذه الأوراق إبراز المجتمع الدولي، على رأسه الولايات المتحدة.

في النهاية، ما الذي يمكن توقعه من بلد يقتر فيه "حزب الله" من هو رئيس الجمهورية. ما تشهده اليوم في لبنان، على كل صعيد نتيجة طبيعية لوصول ميشال عون إلى قصر بعدا بعد إغلاق "حزب الله" مجلس النواب اللبناني سنتين وخمسة أشهر من أجل فرضه رئيسا، فعل ذلك عن طريق رفع شعار: إما يكون ميشال عون رئيسا أو الفراغ في الموقع الأول للدولة اللبنانية. تبين مع مرور الوقت أن الفراغ كان أفضل. هناك رئيس للجمهورية آخر ما يهيمه مستقبل لبنان واللبنانيين. ما يهيمه أمر واحد هو مستقبل صهره جبران باسيل الذي يعتبره وريثه الشرعي على الرغم من فرض عقوبات أميركية عليه بموجب قانون ماغنيتسكي المتعلق بالفساد. نعم، بالفساد.

هل تعيد أميركا وفرنسا السعودية إلى لبنان؟ هذا الأمر ليس أكيدا في ضوء رغبة ميشال عون في وضع كل العراقيل الممكنة في طريق تشكيل حكومة لا تكون خاتما في إصبع صهره. الأكيد أن الرد الإيراني على أي محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في لبنان، والإضاءة على المساهمة بائس من 3.7 مليار دولار من المساعدات الاقتصادية والإنسانية والأمنية قدمت منذ العام 2016.

من جهتها، قالت سفارة فرنسا في بيان خاص بها "تتوجه سفيرة فرنسا في لبنان أن غريو يوم الخميس الواقع فيه 8 تموز - يوليو 2021 إلى المملكة العربية السعودية، إلى جانب سفيرة الولايات

الولايات المتحدة في لبنان، اللقاء عدد من المسؤولين السعوديين. تأتي هذه الزيارة امتدادا للقاء المشترك لوزير أوروبا والشؤون الخارجية (الفرنسي) ونظيره الأميركي مع وزير الخارجية السعودي الذي انعقد في إيطاليا على هامش قمة مجموعة العشرين". لم يفت البيان الفرنسي القول إنه "سبق للوزير جان إيف لودريان وأنتوني بلينكن أن أشارا معا في باريس في 25 حزيران - يونيو إلى عجز القادة السياسيين اللبنانيين، حتى الآن، عن تغليب المصلحة العامة للبنان على مصالحهم الخاصة. كما اتفقا على ضرورة أن تعمل فرنسا والولايات المتحدة معا لإخراج لبنان من الأزمة".

أضاف البيان "ستشرح السفارة خلال لقاءاتها أنه من الملح أن يشكل المسؤولون اللبنانيون حكومة فعالة وذات صدقية تعمل بهدف تحقيق الإصلاحات الضرورية لمصلحة لبنان، وفقا لتطلعات الشعب اللبناني. وستعرب مع نظيرتها الأميركية عن رغبة فرنسا والولايات المتحدة في العمل مع شركائهما الإقليميين والدوليين للضغط على المسؤولين عن التعتيل. ستشدد أيضا على ضرورة أن تذهب المساعدات الإنسانية الفرنسية المقدمة مباشرة إلى الشعب اللبناني وللقوات المسلحة اللبنانية ولقوى الأمن الداخلي التي ستستمر فرنسا والولايات المتحدة بدعمها. هذا يعني أن لا ثقة مطلقا بمؤسسات الدولة اللبنانية كي تصل هذه المساعدات إلى المواطنين العاديين!

كان لا بد من ذكر ما ورد في البيان الأميركي والفرنسي للتأكد من فقدان المجتمع الدولي أي أمل بإنقاذ لبنان من دون مبادرة خارجية عن المألوف. الموضوع في غاية البساطة، على خطورة. الموضوع يتعلق ببلد رئيس جمهوريته ميشال عون ويحكمه "حزب الله"، أي إيران التي لا ترى في لبنان سوى ورقة من أوراق عتة تملكها في المنطقة، تريد، عبر هذه الأوراق إبراز المجتمع الدولي، على رأسه الولايات المتحدة.

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

ما حدث سابقة في تاريخ العلاقات بين الدول، إضافة إلى أنه اعتراف دولي بأن لبنان دولة فاشلة. جاء الإعلان عن سفر السفيرة الأميركية في لبنان دوروثي شيا إلى المملكة العربية السعودية برفقة السفيرة الفرنسية أن غريو لعقد اجتماعات مع مسؤولين سعوديين بمثابة تنفيذ لقرار دولي واضح، إنه قرار أميركي وأوروبي تحديدا. يقضي القرار بالتعاطي مع الواقع اللبناني من منطلق جديد. خلاصة هذا المنطلق أن الطبقة السياسية اللبنانية قاصرة عن تادية المطلوب منها تجاه البلد من جهة وأن رئيس الجمهورية ميشال عون لا يستطيع، من جهة أخرى التعاطي مع الخارج. أي مع الدول العربية التي اهتمت في الماضي بمساعدة لبنان، على رأسها المملكة العربية السعودية.

بكلما أوضح، لا يستطيع لبنان، عن طريق رئيس جمهوريته أو حكومته المستقلة، برئاسة الرجل الفضيحة الذي اسمه حسان دياب، القيام بأي اتصال مع أي دولة خارجية خصوصا مع الدول العربية. كل ما في الأمر أن لبنان بات في حاجة إلى من يقوم عنه بهذه المهمة. لذلك وجدت الإدارة الأميركية والحكومة الفرنسية أن لا خيار آخر أمامهما غير التوسط مع المملكة العربية السعودية، لعل وعسى تقبل مساعدة لبنان.

يعني ذلك مساعدا للبنانيين على العفور على صحيفة بنزين أو ما زوت أو حنة دواء. من المهم أيضا الإشارة الأميركية والفرنسية إلى دعم الجيش اللبناني والقوى الأمنية. لم يعد هناك سوى الجيش اللبناني من مؤسسات الدولة اللبنانية بعدما قضى رئيس الجمهورية على كل مؤسسة، بما في ذلك القضاء.

لاحظ البيان الصادر عن السفارة الأميركية أن "هذه الزيارة تأتي عقب الاجتماع الثلاثي بشأن لبنان لكل من وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن ووزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان ووزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان آل سعود". عقد هذا الاجتماع في 29 حزيران - يونيو الماضي على هامش مؤتمر قمة مجموعة العشرين في مدينة ماتريا في إيطاليا.

أوضح البيان أنه "خلال اجتماعاتها في المملكة العربية السعودية ستبحث السفيرة شيا (مع السفيرة الفرنسية) في خطورة الوضع في لبنان وسوف تؤكد أهمية المساعدة الإنسانية للشعب اللبناني، فضلا عن زيادة الدعم للجيش وقوى الأمن الداخلي. هذا، وبالاشراكة مع نظيرتها الفرنسية والسعودي، سوف تواصل السفيرة شيا العمل على تطوير الاستراتيجية الدبلوماسية للدول الثلاث التي تركز على تشكيل الحكومة وحتمية إجراء الإصلاحات العاجلة والأساسية التي يحتاجها لبنان. سوف تغتنم السفيرة شيا فرصة هذه الزيارة لتعديت تأكيد التزام الولايات المتحدة بمساعدة شعب لبنان، والإضاءة على المساهمة بائس من 3.7 مليار دولار من المساعدات الاقتصادية والإنسانية والأمنية قدمت منذ العام 2016".

من جهتها، قالت سفارة فرنسا في بيان خاص بها "تتوجه سفيرة فرنسا في لبنان أن غريو يوم الخميس الواقع فيه 8 تموز - يوليو 2021 إلى المملكة العربية السعودية، إلى جانب سفيرة الولايات

الولايات المتحدة في لبنان، اللقاء عدد من المسؤولين السعوديين. تأتي هذه الزيارة امتدادا للقاء المشترك لوزير أوروبا والشؤون الخارجية (الفرنسي) ونظيره الأميركي مع وزير الخارجية السعودي الذي انعقد في إيطاليا على هامش قمة مجموعة العشرين". لم يفت البيان الفرنسي القول إنه "سبق للوزير جان إيف لودريان وأنتوني بلينكن أن أشارا معا في باريس في 25 حزيران - يونيو إلى عجز القادة السياسيين اللبنانيين، حتى الآن، عن تغليب المصلحة العامة للبنان على مصالحهم الخاصة. كما اتفقا على ضرورة أن تعمل فرنسا والولايات المتحدة معا لإخراج لبنان من الأزمة".

أضاف البيان "ستشرح السفارة خلال لقاءاتها أنه من الملح أن يشكل المسؤولون اللبنانيون حكومة فعالة وذات صدقية تعمل بهدف تحقيق الإصلاحات الضرورية لمصلحة لبنان، وفقا لتطلعات الشعب اللبناني. وستعرب مع نظيرتها الأميركية عن رغبة فرنسا والولايات المتحدة في العمل مع شركائهما الإقليميين والدوليين للضغط على المسؤولين عن التعتيل. ستشدد أيضا على ضرورة أن تذهب المساعدات الإنسانية الفرنسية المقدمة مباشرة إلى الشعب اللبناني وللقوات المسلحة اللبنانية ولقوى الأمن الداخلي التي ستستمر فرنسا والولايات المتحدة بدعمها. هذا يعني أن لا ثقة مطلقا بمؤسسات الدولة اللبنانية كي تصل هذه المساعدات إلى المواطنين العاديين!

كان لا بد من ذكر ما ورد في البيان الأميركي والفرنسي للتأكد من فقدان المجتمع الدولي أي أمل بإنقاذ لبنان من دون مبادرة خارجية عن المألوف. الموضوع في غاية البساطة، على خطورة. الموضوع يتعلق ببلد رئيس جمهوريته ميشال عون ويحكمه "حزب الله"، أي إيران التي لا ترى في لبنان سوى ورقة من أوراق عتة تملكها في المنطقة، تريد، عبر هذه الأوراق إبراز المجتمع الدولي، على رأسه الولايات المتحدة.

العرب



عملية جراحية تعيد المكانة الإقليمية إلى مصر

ومع ذلك لم تكن الزعامات الوطنية التي خاضت هذه المواجهات بصرامة وحسم تهتم سوى بمصالح مصر وخلق دور يتناسب مع طموحاتها وأهدافها. تشير الكثير من توارثات القوى الراهنة إلى أن مصر لديها من الإمكانيات ما يفوق مرات ما ملكته في المحطات الثلاث السابقة، وحتى فكرة القطبية التي كانت سائدة خلال حربي 1956 و1973 تراجعت كثيرا عام 2013 الذي لعب فيه الرئيس عبدالفتاح السيسي، وقت أن كان وزيرا للدفاع، دورا مؤثرا في مواجهة قوى كبرى وفتت جوار جماعة الإخوان، ونجح الرجل في العبور بالسفينة بأقل خسائر ممكنة.

جرى ضبط المعادلة الجديدة على بوصلة تكوين قوة عسكرية كبيرة، ما يعني أن هناك استعدادا مبكرا لمواجهة التحديات بخشونة، وخطورة هذه المسألة أن الاكتفاء بفكرة الردع لن يكون كافيا لمنعه في كل وقت، فقد تعرضت الدولة لاستنزاف تدريجي ينزع عنها أي مبررات بشأن تهيمته الفرصة لتستخدم قوتها مباشرة.

ظهرت معالم هذه القضية في حالتها ليبيا وإثيوبيا، ففي الأولى تسللت تركيا عسكريا وسياسيا واقتصاديا وخلقت لنفسها مكانة كبيرة دون أن تتجاوز الخط الأحمر أو تضطر إلى الصدام مع مصر لتجبرها على استخدام قوتها العسكرية، لأنها فهمت الرسالة على وجه يعني أنها يمكن أن تتحرك في ما دون سرت - الجفرة.

لم تمنع الاستجابة إلى هذا الخط من وجود تهديدات للأمن القومي، فتمركز تركيا بالطريقة التي تريدها في غرب ليبيا يحمل العديد من المخاطر لاحقاً، وهو ما انتهت إليه القاهرة مؤخرا وفرض عليها أن تتفح على طرابلس والغرب عموما بعد أن نجحت أنقرة في تشكيل طبقة نافذة مؤيدة لها ومصالحها.

ثمة صورة قريبة من ذلك مع إثيوبيا، حيث استدرجت مصر لمفاوضات عقيمة لمدة عشر سنوات وعلى استعداد لمضاعفتها طالما أنها تيقنت من عدم استخدام القوة معها، ومررت خططها بالطريقة التي لا تخترق الخط الأحمر المرتبط بوقوع ضرر، حيث نفذت أديس أبابا الملاء الأولى منذ العام الماضي، وشرعت في الملاء الثاني قبل أيام بالطريقة ذاتها، واستخدمت من الحيل ما يمكنها من تقييض مبررات القوة. يحتاج النظام المصري للقيام بعمل عسكري لزيادة الالتفاف حوله داخليا واستعراض عضلاته في أي من الاتجاهات الإقليمية، وبحض ما ترسب في حسابات جهات كثيرة من أن القوة المصرية للردع، فالقاهرة التي صمدت بعد ثورة 30 يونيو 2013 وتجاوزت مطبات ثورة 25 يناير 2011، يمكنها أن تتخطى تداعيات أي عملية جراحية عسكرية، لأن الصبر الطويل يغري بالمزيد من التهديد.

في بعض الأزمات الإقليمية، فما قامت به القاهرة في حرب قطاع غزة الأخيرة لم يتم البناء عليه حتى الآن بصورة جيدة، ولا تزال نتاجها محدودة، وشبح الحرب على القطاع لم يتلاش، وكل ما تقوم به مصر هو محاولة فرملة إسرائيل وكبح جماح حركة حماس.

لم يتم استخدام عناصر القوة المصرية بشكل جيد في الكثير من الأزمات التي مرت بها البلاد، ويظل القلق من الانزلاق في فخ إقليمي يسيطر على الكثير من التصورات والتصرفات، ما يحذر من توسيع نطاق الدور الذي يتناسب مع الإمكانيات والرهانات والطموحات وتحقيق الأهداف.

لا أحد بالطبع يطالب بقيام مصر بشن عدوان على دولة ما أو انتهاك سيادتها، لكن القوى المؤثرة من الضروري أن تعلن عن نفسها عبر عمليات جراحية نوعية، في عالم لم يعد يقدر كثيرا القوة الرشيدة، ويخشى تماما من القوة الباطشة.

يبدو الخوف من التعرض لعقوبات دولية أو الدخول في صدام مع قوى كبرى مهيمنا بصورة مبالغ فيها على العقل المصري، مع أن تركيا وإيران وإسرائيل وكل القوى الإقليمية في مناطق مختلفة تصنع صورتها من خلال الأعمال العسكرية، والذي يمنحها كاريزما وتحافظ على مصالحها الحيوية، ولا أحد يقتر بفتحها جديا من القوى الكبرى، وربما يحدث العكس، حيث تتولد الخشية من الصدام معها. جرّبت مصر الصدام الحتمي في سنوات 1956 و1973 و2013، وفي كل مرة كانت الحسابات متباينة والتداعيات مختلفة، لكن الأمن المصري والعربي والمصالح المرتبطة بهما والنقل الإقليمي من العوامل الرئيسية هي التي حكمت القرارات في هذه الأحداث المصرية. وفي جميعها كانت هناك تقديرات مرفعة للتكاليف والمخاطر والتداعيات،

قد تكون إشارات الحرب التي ترسلها مصر لبعض الحلفاء غرضها الطمأنينة والإقتراب السياسي وليس العسكري. وقد تكون إشارات السلام التي تبعث بها للمجتمع الدولي ترمي إلى تخفيف حدة المخاوف من توظيف القوة العسكرية المتضخمة، والتأكيد على أن مصر دولة رشيدة وغير باطشة ولا تبادر بالاعتداء على أحد.

تركت هذه المنظومة النبيلة انطباعات سلبية بأن هذه القوة غير قابلة للاستخدام عمليا، لا في المحيط الإقليمي القريب أو البعيد، وأن ثمة هواجس ضخمة تمنع القيادة المصرية من اللجوء إليها وحسابات بعيدة تدّخرها.

يضعف المصريون اليوم على قيادتهم لاستخدام القوة مع إثيوبيا لحل أزمة سد النهضة المستعصية، الأمر الذي وضعها في موقف حرج، فلا هي تستطيع تلبية ذلك ولا الإعلان عن قدرتها على ضمان الحل السياسي وتحقيق نصر بلا حرب، وهو ما جعل أديس أبابا تصرّ على غطرستها، وبدت شبه متيقنة من أن القاهرة لن تقدم على عمل عسكري، ليس لأنها لا تستطيع، بل لأن قوى كبرى عديدة تعارض هذا الاتجاه.

وصلت الرسالة نفسها إلى تركيا بما جعلها تصر على استمرار قواتها العسكرية في ليبيا، وعلى استعداد لضرب عرض الحائط بالخط الأحمر (سرت - الجفرة) إذا وجدت أن ذلك سيحقق أهدافها كاملة، أو أن طريق التقارب مع مصر بات مسودا. وصدمت معاني القوة دول الخليج منذ سنوات عندما أكد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أنه على استعداد للدفاع عن أمنها في إطار تحالف مع دولها الرئيسية، واستخدم عبارة "مسافة السكة" كدلالة على الجاهزية والاستعداد الفوري للقتال.

يرمي تراكم القدرات العسكرية بمختلف أشكالها إلى الحماية بشكل رئيسي من التهديدات الخارجية، والحفاظ على المصالح الاقتصادية، وهما مهمتان مركبتان في استراتيجية الدولة المصرية حاليا، غير أن هذا التوجه لا يخلق دورا إقليميا مؤثرا لدولة تريد أن تحتل مكانتها في المنطقة، وتقود الأمة العربية.

إذا استمر هذا الاتجاه فلن يتعدى الدور المصري زاوية الوساطة المحدودة

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

تحرص مصر على ضبط النفس إلى أقصى درجة في تعاملها مع التحديات الإقليمية، وترسل إشارات متفاوئة بانها دولة سلام وليست دولة حرب ولن تعتدي على أحد ما لم يكن أمنها القومي مهددا بالفعل، وهو حديث لم يتورع النظام المصري عن تعميمه في الأونة الأخيرة. وفي كل مرة ظهرت فيها تلميحات بعمل عسكري في ليبيا أو مع إثيوبيا تكون مرهونة بمحددات تنزع عنه الفعل كأنها تستخدمه للردع والترهيب فقط.

يضعف المصريون اليوم على قيادتهم لاستخدام القوة مع إثيوبيا لحل أزمة سد النهضة المستعصية، الأمر الذي وضعها في موقف حرج، فلا هي تستطيع تلبية ذلك ولا الإعلان عن قدرتها على ضمان الحل السياسي وتحقيق نصر بلا حرب، وهو ما جعل أديس أبابا تصرّ على غطرستها، وبدت شبه متيقنة من أن القاهرة لن تقدم على عمل عسكري، ليس لأنها لا تستطيع، بل لأن قوى كبرى عديدة تعارض هذا الاتجاه.

وصلت الرسالة نفسها إلى تركيا بما جعلها تصر على استمرار قواتها العسكرية في ليبيا، وعلى استعداد لضرب عرض الحائط بالخط الأحمر (سرت - الجفرة) إذا وجدت أن ذلك سيحقق أهدافها كاملة، أو أن طريق التقارب مع مصر بات مسودا. وصدمت معاني القوة دول الخليج منذ سنوات عندما أكد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أنه على استعداد للدفاع عن أمنها في إطار تحالف مع دولها الرئيسية، واستخدم عبارة "مسافة السكة" كدلالة على الجاهزية والاستعداد الفوري للقتال.

